



شعر: د. عبدالكريم

المشهداني

وَكُلُّوا عَلَيْهِ الْخُبْزَ وَالْمِلْحَا
سَفْحًا عَلَى الْأَوْرَاقِ أَوْ نَضْحَا
أَوْ مَغْنَمًا سَمُوهُ أَوْ فَتْحًا
أَيْدِي الْجَنَاةِ وَتَقَبَّلُ النُّصْحَا
أَشْعَلْتُمْ فِي قُلُوبِنَا جُرْحًا؟
وَقُلَحْتُمْ سَاحَاتِهَا قُلْحًا؟
مَلِئْتُمْ عَلَيَّ أَوْدَاجَهَا ذُبْحًا؟
تَجْرِي دَمًا أَكْبَادُهَا الْقَرْحَى
حَتَّى نَرُدَّ وَجُوهَكُمْ كُلَّهَا
وَنَدُكَ مِنْهَا الْوَهْدَ وَالسَّفْحَا
عَبَّرَ الدَّمَاءَ صُفُوفُهَا سَبْحَا
لَا تُعْطِهِمْ عَفْوًا وَلَا صَفْحَا
أَنْتَ الْحَصِيفُ فَأَذْكُهَا قَدْحَا
نَكْبَاءَ وَالْقَحْطُومُ بِهَا لَقْحَا
وَاجْمَعْ لَهَا كَقْفِيكَ وَالرُّمْحَا
وَتَكْدَسَتْ وَدِيَانُنَا قَمْحَا
طَفَحَتْ خَزَائِنُنَا بِهِ طَفْحَا
وَنُشِيدُهَا صَرْحًا عَلَا صَرْحَا
وَالْحَقْدُ فِي الْأَعْمَاقِ لَنْ يَمْحَى
بِالسَّيْفِ - مَظْلَمَ لَيْلِنَا صَبْحَا

صَبُّوا الْمَدَادَ وَأَحْكَمُوا الصُّلْحَا
صَلِّحْ حَوَاشِيَهُ تَسِيلُ دَمًا
سَمُوهُ مَا شِئْتُمْ: مُهَادَنَةً
قَلْتُمْ: وَنَنَسَى كُلَّ مَا اقْتَرَفْتُمْ
نَنَسَى الْجِرَاحَ وَكَلَّمَا خَمَدَتْ
نَنَسَى الْمَحَارِبَ الَّتِي نُسِفَتْ
نَنَسَى؟! وَمَا نَنَسَى؟! مُحَدَّرَةً
وَالْأَمْهَاتِ يَبْدُرْنَ مَنْ وَلَهُ
كَأَلًا وَأَلْفَ مِثْلُهَا أَبَدًا
وَنُثِيرَ فَوْقَ دِيَارِكُمْ رَهْجًا
فَكَتَائِبَ «البوشناق» مَا سَبَحَتْ
يَا (عَزْ) يَا عَنَوَانَ عَزَّتِنَا
هُمْ خَاذِلُوكَ فَلَا تَثْقُ بِهِمْ
رَدَّ السَّلَامِ الْمُرَّ عَاصِفَةً
خَضُّهَا غَمَارَ الْمَوْتِ لَا هِيَّةَ
لَوْ أُتْرَعَتْ أَنْهَارُنَا عَسَلًا
وَتَدَفَّقَ الدُّوَلَارُ مِنْهُمْ مَرًّا
لَوْ قِيلَ نَبْنِيهَا لَكُمْ دَهَبًا
فَالثَّارُ لَنْ تُطْوَى صَحَائِفُهُ
حَتَّى يُعِيدَ الْحَقُّ - مُنْشَحَا

أما نجر

فلن

ننسى



■ نعت إلينا الأنباء الشاعر أحمد فرح عقيلان فاستحق منا وقفة
تأمل وثناء، فلقد اعتدنا ألا نحتفل بمن يستحق التكريم والاحتفال إلا
بعد انتقالهم إلى الحياة الآخرة!

■ ■ ■

ولد المرحوم في مدينة الفالوجة بجنوب فلسطين عام ١٩٢٤م،
وتعلم في القدس الشريف، ونال منها شهادة الامتحان الأعلى لمعلمي
المدارس الثانوية عام ١٩٤٦م.

وقد عمل في التعليم الثانوي في الفالوجة وفي غزة وفي المملكة
العربية السعودية حيث نقل من التعليم مستشاراً ثقافياً في
الرئاسة العامة لرعاية الشباب

وقد تخرج على يديه أعداد
كبيرة من الطلاب كان له

فيهم تأثير ديني
وأخلاقي. وقد عرف

فيه هذا الاتجاه

أيضاً من أحاديثه

في الإذاعة

السعودية

وبرامجه الثقافية

التوجيهية التي

واظب على تقديمها

حتى

الأيام

الأخيرة

في حياته.



د. عمر عبدالرحمن الساريسي

حقيقة

التجربة

الفنية

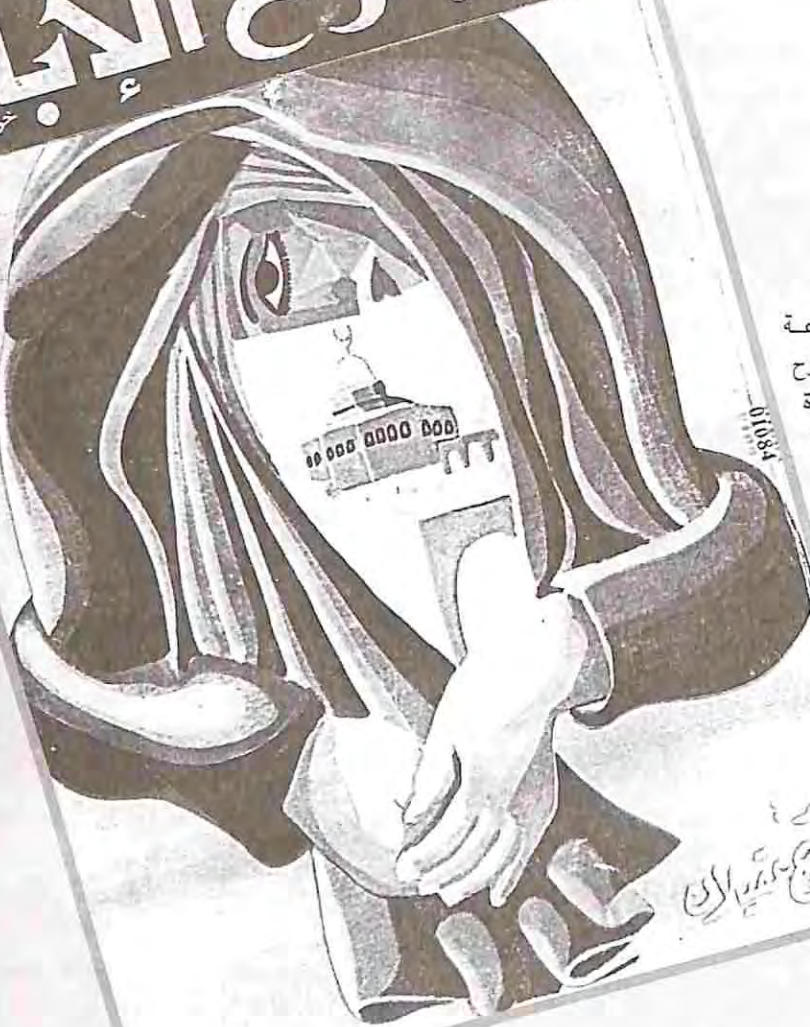
فري ديوار

« جرح الإباء »

أحمد فرح

عقيلان

جرح الإباء



■ انطباعات أولية

وإذا نظر الباحث المدقق في المجموعة الشعرية الأولى للشاعر، وهي ديوان «جرح الإباء»، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، دون تاريخ، ولم يتح لنا الاطلاع على غيرها؛ فإننا قد نخرج ببعض الملاحظات الأولية.

وأول ما يبدو لقارئ هذا الديوان تأثر الشاعر بالقرآن الكريم - كما يبدو - اعتماده على التراث العربي التقليدي «الكلاسيكي» وهو يميل كثيراً إلى إيثار وحدة البيت أو الشطر من البيت. وإلا فلماذا يقع للقارئ أن يحفظ بعض أبيات قصائدها فور قراءتها؛ ليس في مطالعها فحسب وإنما في ثنائيا أنسجتها أو في الأواسط أو في الأواخر. وذلك مثل قوله:

يقول لنا الشهيد دعوا حطامي

فما في الموت مصري وشامي

أو قوله:

لي في الهوى قصة مكتوبة بدمي

عنوانها: أمل أفضى إلى ألم

أو قوله:

إن ألقى قذيفة من كلام

لا تساوي قذيفة من حديد

أو قوله: فلسطين الجريح مطاف روجي

أو قوله: روجي فداء عقيدتي وبلادي

أو قوله: فداء المسجد الأقصى حياتي

ثم إن قوله: «إذا ابتغيها سوى إسلامنا بدلا» مصوغ من قول الله تعالى «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه»، وقوله: «إن ننصر الله ينصرنا» من قوله تعالى «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» وقوله: «ليس يخشى الله إلا أولوا الألباب» من قول الله

تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء.

وكذلك يحس القارئ أن الشاعر في قوله:

يا خير مؤتمر لله منعقد

للحق منتصر للدين منتسب

وقوله:

ومن تكن في سبيل الله هجرته

فتحت إمرته جيش من الرعب

متأثر إلى حد كبير بقصيدة أبي تمام البائية في تخريب المعتصم

لعمورية موضوعاً ووزناً شعرياً، ومتأثر بحديث رسول الله عليه

السلام، في حديث «إنما الأعمال بالنيات».

وقوله في إذاعة صوت العرب: «لك يا إذاعة في القلوب مهازل»

مأخوذ من بيت المتنبي: لك يا منازل في القلوب منازل

■ حقيقة التجربة الشعرية لدى فرح أحمد عقيلان:

وإذا أنعمنا النظر في هذه الملاحظات الأولية فإنها قد تنقلب لصالح الشاعر لا عليه، وربما يتضح ذلك بشكل جلي بعد أن نتدبر عناصر التجربة الشعرية في ديوان «جرح الإباء»، ذلك الجرح الغائر ليس في قلب الشاعر فحسب بل في كيان الأمة ووجودها في هذا الزمان العاثر.

١- وأول هذه العناصر وأبعدها أثرا الإحساس بموضوع الألم. لقد أحس الشاعر بنكبة فلسطين في الثامن والأربعين إحساسا عميقا بكل ما فيه من ألم وإذلال وضيق وفقد وثكل. ولسوف يفعل هذا الإحساس فعله الكبير كما سنرى فيما بعد.

إن الشاعر بات يرى في أحداث الاحتلال نكبة كبرى: «وجاءت النكبة الكبرى بفرقتنا» وجعل يحس وكأنه في: «مستنقع الذل والتشريد والعار» ويدعو كل بني وطنه فيقول:

أخي لا تنس غـربـتنا

مع التشريد والقهر

ويقول عن الوطن:

أنا في حماء أعز من أسد

وعلى سـواء أذل من وتد

ويستقبل العيد بقوله:

أي عيد وقد ثكلت بلادي

وفلسطين في ثياب الحداد

وينظر إلى القالوجة من بعيد ويقول:

انظر إلى تلك المدينة

ة تلك بلدتي الكليمة

ويتفاعل هذا الإحساس الشديد بنتائج الاحتلال في هذا القلب الوثاب ولا يلبث أن ينقلب غضبا وإصرارا على الخروج من الذل، ثارا، في وجه الأعداء وثورة عارمة تفور حرة كريمة لا تقبل العار، وذلك في وقت مبكر، ولم يمض على النكبة غير ثلاث سنوات. استمع إليه وهو يتأجج

يا عرب كيف ينام ثا

ر الحر وهو يرى غـريمه؟

قسما بمن جعل اليهود

د حثالة الذل الأثيمة

سأثور كالبركان يص

لي دولة الباغي جحيمه

وفي موضوع آخر يدعو:

قوموا لنعلنها شعواء مؤمنة

وفي موضوع رابع يقول:

فأعلنوها على الكفار مسلمة

تلقي بمن حرقوا الأقداس في اللهب

ذلك لأن:

الحق لا يحميه غير سيوفنا
للحق ثائرة على الأغـمـاد
ومما يلفت الانتباه أن هذا الشاعر الأبى قد فطن لضرورة نهوض العمل الفدائي في وجه الاحتلال الصهيوني بعيد النكبة مباشرة كما تقدم.
فحينما أراد المصريون نقل جثمان شهيد إلى مسقط رأسه في مصر صرخ الشاعر:

دعوني واطلبوا ثاري فإني
لقتل من استباحوا الحق ظامي
دعوني واركزوا فيها رفاتي
منارا للفدائي الهمام
إنه يرسم منهاج الفداء والبطولة والمقاومة القادمة.
وحينما يبرز العمل الفدائي أواسط الستينات يعلن الشاعر فرحه الغامر بعد أن طال الانتظار:

قد أرضع التشريد أكبادهم
حقدا على الأعداء والأدعياء
فاندفعوا كالسيل في ثورة
يدمرون الطغمة الأشقياء
وقد ذكر الشاعر كثيرا منظمة فتح وحيا عملها الفدائي ومقاومتها الباسلة منذ بزوغها عام ١٩٦٥م على الصفحات ٤١، ٦٨، ٩٦، ٩٧.

٢- أما العنصر الثاني من عناصر التجربة الشعرية فهو الفكر النير الواضح الناجم عن عمق الإحساس بموضوع الهم الجماعي في فلسطين.

إن وضوح الرؤية الذي يبرز في هذه المجموعة الشعرية في وقت مبكر من عقد الخمسينات، حيث كان ضباب الأحزاب السياسية يلف الشارع العام، من أبرز معالم هذه التجربة الشعرية الرائدة في أدب المقاومة الناطق بالعربية في العصر الحديث. نقول: وضوح الرؤية لأن الشاعر أحمد فرح عقيلان قد جأر بالنداء بالإسلام بصوت عال لا غموض فيه ولا تردد. إنه الالتزام بالإسلام عقيدة وسلوكا ومنهج حياة وسبيل جهاد وطريق تحرير. ففي عام ١٩٥١م يلقي في جمع من الطلبة المصريين هذه النداءات:

يا بني العرب أنتم أهل دين
وذكاء وعدة وعديد
ما بكم والمبادئ الصفر والحرر
وقرآننا منار الوجود
فاحملوا راية القيادة وامضوا
لا تبالوا بمغرض وحسود
ولكم في محمد قدوات
تحرز السبق في سجل الخلود
إنه يدعو إلى عدم الجري وراء الأحزاب الشرقية أو الغربية ففي

■ وضحت في أشعاره الفصاحة وإشرافة الكلمة وسهولتها.

ويراوح الشاعر، شأن كل شاعر، بين الجمل الخبرية والإنشائية في شعره، دون الحاجة للتمثيل، ويعنى بالموضوع عنايته بالبيت، وتكاد تظفر لكل قصيدة بوحدة موضوعية تستكمل عناصرها من أبيات القصيدة وعلاقتها العضوية بعضها ببعض. اقرأ مثلاً قصيدته في «راية التوحيد» ص ٨٨ أو أي قصيدة أخرى من هذه المجموعة لتقف على ما نقول، ولتكن جرح الإباء ص ١١ مثلاً آخر.

إن في قصائد الشاعر أحمد فرح عقيلان قدراً بارزاً من الغنائية في النظم الشعري الذي يشف عن شاعرية متقدمة منذ ما يزيد على أربعين سنة.

٤- وربما تتضح السمة الغنائية في النظم والصياغة، كما تتضح في عنصري الصورة والموسيقى المتبقيين من عناصر التجربة الشعرية في هذه المجموعة الشعرية من شعره.

فالصورة يتأملها الناظر بقلبه في قوله، في البيت الذي سقناه قبل قليل:

ترقب غدا، فالنصر ينساب من غد
ونور المنى في حافتيه يلوح
تأمل: ينساب وحافتيه ونور المنى وما فيها من ظلال وإحياءات.

وفي قوله:
فلسطين الجريح مطاف رحي
وفي أوصافه للطائف الطائف: من مثل قوله:
تبترد الشمس على مزنة
حيث النهار المشمس المطر
وتسمر الأحلام في ليلة
حيث الليالي بالهنا تعم

٥- أما الموسيقى الشعرية فإن القارئ المتذوق يقع عليها في كل قصائد المجموعة، في بحور الوافر والبسيط والكمال مرة وفي التصريع مرة أخرى، وفي التقسيم مرة ثالثة وفي المعارضة لقصائد مشهورة في التراث رابعة، ولا نريد أن نمثل أكثر، ونكتفي من ذلك كله ببيت شعر واحد فقط:

سيروا على اسم الذي يحمي مسيرتكم
فمن سعى في سبيل الله لم يخب
فلعل هذا البيت الشعري الجميل يكون مسك الختام في هذه الكلمة، التي حاولت أن تشير إلى ما في شعر المرحوم أحمد فرح عقيلان من التزام بالإسلام فكراً وديناً وعقيدة، وسبيل خلاص وتحرير، ومن أدب يمتاح من التصور الإسلامي صوراً فنية تعبيرية موحية من خلال هذه اللوحة الغنائية المؤثرة الجامعة لكل عناصر التجربة الشعرية النافذة.

وبذلك نقف على حقيقة مكونات التجربة الشعرية ومقوماتها في مجموعة المرحوم أحمد فرح عقيلان الموسومة «بجرح الإباء»، وإن بدت للوهلة الأولى شيئاً غير ذلك.

الإسلام وحده سبيل الخلاص. وفيه وحده وحدة الأمة، وليس في دعاوي القومية والعروبة وحدها.

حسب العروبة أن يكون محمد
منها وأن لسانها القرآن
وأنة لا قيمة للعرب بدون الإسلام.
إن يسلك العرب عن إسلامهم رجعوا
على شمال المعالي بعض أصفار
وفي الإسلام أيضاً يكون تحرير الوطن من الاحتلال:

لو اجتمعنا على الإسلام من زمن
لبات جد بني صهيون في صيب
ولقد سالت على لسان الشاعر مجموعة من الحكم والنظرات الثاقبات من وراء هذه الرؤية الواضحة في اصطناع الفكر الإسلامي سبيلاً للخلاص. استمع إليه يقول:

والصقر ليس يعيش إلا في الذرى
وفي القصائد أيضاً ملامح فكرية اجتماعية حول التعليم والمعلمين ص ٤٢ وص ٩٠ وحول الفقر والغنى ص ٧٧ والخنافس ١٢.

٢- ويستوقف الباحث من بعد البعد الفكري في التجربة الشعرية البعد اللغوي، فلقد كان الشاعر فصيحاً بين الفصاحة في هذه المجموعة الشعرية. فلقد جمع إلى الوضوح إشراق الكلمة والتراكيب في النفس، فأنت عندما تقرأ العبارة من عباراته تشرق في نفسك وتدخل في قلبك تقبلاً واستحساناً. وهل البلاغة إلا ذاك؟ إنها السهل الممتنع، كما يقولون منذ زمن ابن المقفع والجاحظ، حتى إذا حاولها الجاهل وظن أنه يحسن مثلها فشل. ولعل هذا هو الذي أوقع في الوهم إثارة الشاعر لوحدة البيت أو وحدة شطر، كما قلنا في مفتتح هذه الكلمة:

إنه، كما يخيل إليّ، اقتدار الشاعر على خلق اتصال قوي بينه وبين القارئ والسامع. ولا يكون هذا الاقتدار إلا بعد أن يفعل الإحساس العميق بالموضوع فعله في آلية النظم وصنع الكلمات والتراكيب، لدى شاعر اكتملت بين يديه العجينة اللغوية فمضى يشكلها كيفما يشاء، فيكون من صياغاته تراكيب تسرع في الأذان، وتدخل القلوب بلا استئذان، فما رأي القارئ بقول الشاعر:

ترقب غدا، فالنصر ينساب من غد
ونور المنى في حافتيه يلوح
وقوله:

يقول لنا الشهيد دعو حطامي
فما في الدين مصري وشامي
وقوله:

إن ألفي قذيفة من كلام
لا تساوي قذيفة من حديد
(وإن كان مصدر الإعجاب في البيت الأخير ينبع من الفكرة أكثر من الصياغة).



معالي الدكتور محمد عبده يماني .. 1 «مجلة الأدب الإسلامي»:

الالتزام في الأدب .. لا يعني التضيق على الأدباء

حوارنا في هذا العدد مع أحد الأعلام الإسلاميين وصاحب الكتابات المتعددة في الفكر والثقافة.. إنه معالي الدكتور محمد عبده يماني.. صاحب الأعمال المتنوعة من رواية وقصة وبحوث ودراسات إسلامية ونقدية متعددة.. فإلى هذا الحوار:



حاوره: محرر المجلة

الأصيلة وروح الإسلام التي أكرمت العرب وأعزتهم..

وحقيقة فإنني أشعر بسعادة غامرة لما يحدث اليوم على الساحة الثقافية في المملكة العربية السعودية والحمد لله، من تنافس شريف، وعطاء جميل، وأتمنى أن تُعنى أكثر ببناء الذات السعودية منذ المراحل الأولى، ونعمق فيها تعليم اللغة العربية بصورة أقوى، ونربطها بالتراث، حتى ينشأ الشاب في بلادنا على ما نشأ عليه الأجداد.

■ اختلف الأدباء والنقاد حول وظيفة الأدب؛ فمنهم من جعله للإمتاع فقط، ومنهم من ارتقى به إلى أهداف تربوية وتأثيرية، فما وجهة نظركم تجاه هذه القضية؟

● أنا أعتقد أن الأدب يأخذ من هذا وذاك، فهناك من الآداب ما هو للمتعة وما هو للفن والاستمتاع.. ومن الشعراء - طوال التاريخ العربي والإسلامي - من كتب لمجرد الأدب، وهناك من استخدمه لتحقيق أغراض كبرى كتوجهات الأمة وقضاياها.. ورأيي أن الأدب لا يصح أن يحصر في غرض معين، بل يظل متعدد الأغراض والوظائف، ولكن يجب أن يظل أدبا ملتزما بقواعد الأدب، وأن يكون في إطار الأدب العربي الإسلامي، بما له من قيم ومبادئ وأخلاقيات، وعمق وغزارة وآفاق، أما أنه يحصر في غرض معين أو وظيفة معينة فلا أراه بشكل من الأشكال.

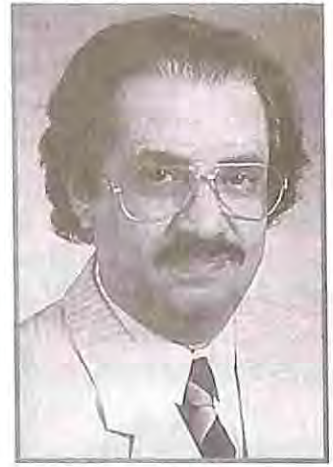
■ يتكرر في بعض الصحف وعلى ألسنة بعض الأدباء والنقاد أن الشعر قد توارى في هذا العصر، وأن الرواية والقصة تقدمتا عليه جماهيريا ونقديا، فماذا تقولون تجاه هذه الأقوال؟

● هذا رأي، ولكنه يصادم رأيا آخر، يرى أن الرواية والقصة القصيرة غريبان عن المجتمع العربي وذوقه، والعرب أمة شاعرة، ومهما قيل عن هذا التفوق فهو مجرد افتراضات، وهناك من يرى أن العربي لا يتذوق الرواية والقصة كما يتذوق القصيدة وتؤثر فيه. وما يوجد في الساحة اليوم محصور بفترة محددة ستنتهي قريباً.. كل هذه آراء وافتراضات.. لكن إذا نظرنا إلى العالم العربي ككل، نجد أن القصة القصيرة والرواية قد وصلت إلى

القصة القصيرة والرواية بلغتا شأنا كبيرا في عصرنا



■ البرتو مورافيا



■ عبد الله جفري

ينبغي أن يحكمه الإطار العام لهذا الأدب، وأن يلاحظ من يقرؤه أنه تأدب بآداب الإسلام فيما يكتب.

■ كيف تقومون الأدب العربي الحديث من حيث درجة الالتزام فيه؟

● الأدب العربي الحديث ينقسم إلى أقسام مختلفة.. فيه أدب يستغل ويستأنس بتعاليم الإسلام وأخلاقه. ومن الأدب العربي ما يهتم بالقيم العربية، ولا شك أن العروبة والإسلام متلازمان تالزما قويا.. ومنه أيضا ما يمر بفترة حرجة ودقيقة من حيث درجة الالتزام بتعاليم الدين، أو من حيث نوعية القضايا التي التزم بها الأدباء، ومدى ارتباطها أو ابتعادها عن الدين.. ومع ذلك كله فالأدب في كثير من الدول قد بلغ شأنا عظيما وخاصة في مجال الشعر، حيث ظهر هناك الكثير من المبدعين، الذين تعرضوا لقضايا أممتهم، وطرحوا إبداعا قويا ورائعا.. وبعضهم جدد فيما كتب في ألوان الشعر العربي ومنهم من كتب في المقالة أو في النقد.. ومجمل القول أن الإنسان حينما ينظر إلى ما يجري في العالم العربي ككل يشعر بنوع من الإحباط في بعض المناطق، خصوصا عند الذين لا يتمتعون بالحرية الثقافية. وتقيد الأدباء بهذا الشكل، أو توجيههم لألوان معينة، ضيق على كثير منهم خاصة في البلاد التي تسلط فيها الحكام، وقهروا الأدباء، وأخرجوا أنفسهم حتى من دائرة العروبة والإسلام، ووجهوها لخدمة قضايا قطرية وجزئية، بعيدة كل البعد عن الروح العربية

■ معالي الدكتور: كيف ترون الالتزام في الأدب عموما من حيث أهميته ووجوده في الأدب العربي قديما وحديثا؟

● الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وبعد: فالحقيقة أن الأدب والالتزام في الأدب قضية مهمة جدا؛ لأن آداب الشعوب مملوءة بالقيم والمبادئ والمعطيات، فلا بد أن يحكم الأدب بها جميعا. ويكون لكل أدب نكهة معينة، وسلوك معين، وشخصية معينة، لها اعتبار قوي في تقسيم الآداب.. وإذا قسمنا الآداب حسب الأقسام أو المعتقدات نقول: هناك أدب أمريكي وأدب روسي وأدب صيني وأدب ياباني وهكذا.. وعندما نتكلم عن الأدب العربي فأول ما يتبادر إلى الذهن أنه محكوم بقيم الإسلام ومبادئه، للارتباط القديم والقوي بين العروبة والإسلام. ومن الواضح لنا جميعا أن الإسلام أساسا قضيتنا قضية أخلاقية؛ لأن الرسول ﷺ على الرغم من أنه من أشجع الناس وأكرمهم لم يوصف في القرآن بالشجاعة أو الكرم وإنما وصف بالأخلاق (وإنك لعلى خلق عظيم). إذا فقضية الإسلام قضية أخلاقية، وجميع الناس في تعاملهم والأدباء في كتاباتهم يلتزمون بهذه القيم التي تميز هذا الدين.. والالتزام بهذا كله لا يعني التضيق على الأدباء، بل يجب أن يعطى لكل أديب إسلامي الحرية الكاملة في أن يكتب ما يشاء وينشر ما يشاء وينقد ما يشاء ويفلسف ما يشاء، لكن

مرحلة كبيرة من الإبداع والإتقان، وأن العربي يتذوقهما وينقدهما، كما أن للشعر ساحته ومجالاته الواسعة جدا..

■ لكن هل ترى أن للانقطاع الثقافي بين الدول العربية دورا في ظهور هذا الجدل؟

● بالتأكيد.. لأن عدم تواصل الأقطار العربية ببعضها أورث الجهل بالآداب الأخرى في الأقطار المجاورة، سواء كان شعرا أم نثرا.. إننا لا نعرف عن المغرب العربي وآدابه إلا الشيء القليل، ونحن بالنسبة للمغرب العربي في عداد المجهولين.. فالعرب في حاجة إلى التواصل، والفنون الأدبية الشعرية والنثرية لم تغب، ولكننا لا نعرف عن بعضنا شيئا إلا في نطاق ضيق وتواصل محصور، وأنا أرى أن المرحلة القادمة تحتاج إلى توسع في الاتصال وأن نستفيد من العصر الذي يسمى عصر الاتصالات بأن نتواصل الدول العربية مع بعضها في جميع المجالات الثقافية.

■ نرجو أن تحدثونا عن رأيكم في الرواية العربية واتجاهها.

● الإنتاج الروائي العربي المعاصر يصل إلى درجة من الأصالة تستحق الدراسة والمتابعة، خاصة للرد على المتقولين بأنه فن مستحدث في أدبنا العربي ولا جذور له.. وأن أدبنا الحاضر تطور بفضل ما نقلنا من صور الحضارة الغربية سواء بالنقل أو الترجمة، وقلدناه محاكين.. ثم بدأنا ننتج ألوانا متفردة من هذا الفن الجديد على أدبنا..

والخطأ في هذه المقولة أن الأدب ليس بدعة تنقل وتحتذى ثم تؤصل نفسها عند المقلدين.. وليس قالباً نصب فيه العبارات لتخرج لنا رواية.. إنما الأدب جزء من طبيعة الناس.. وله جذوره وأصوله، ولا شك أن الفن الروائي العربي أخذ في التكامل هذه الأيام.. وذلك بقدرته الإبداعية فيما ينتجه من أعمال روائية، تضع الأديب العربي في مصاف غيره من أدباء العالم المشاركين في التعبير عن آلام الإنسانية..

والنص الإبداعي في أدبنا العربي يتحدد بقدرته على تمثيل التراث الجمالي السابق والإضافة إليه.. كما لاحظت فيما نشر من الروايات العربية ارتباطها بشكل ما بالحركة الاجتماعية.. وواضح أنه لا يزال

في أدبنا العربي إمكانات كامنة، وضحت في بعض القصص القصيرة، وهي تبشر بطاقة روائية في طريقها إلى حيز الوجود.. فالرواية هي أقرب الفنون للحياة..

وقد قرأت شهادة لكاتب من أشهر كتاب الرواية في العالم وهو «البرتومورافيا» الكاتب الإيطالي المعروف.. وقد سألته إحدى الصحفيات المصريات خلال مشاركته في مهرجان القاهرة الدولي للكتاب.

سألته الصحفية عن رأيه في القصص العربي الحديث، فقال لها: القصص العربية الحديثة.. أنتم عندكم أعظم وأحدث قصص عرفه العالم.

فسألته عن تنكلم؟ انكر من من القصصيين.. قال لها: (قصص القرآن).

هذه شهادة أديب وكاتب كبير، وهو مسيحي ويبلغ من العمر ٨٤ عاما، وله من الخبرة والحكمة والبراعة في كتابة الرواية ما وضعه مع قمم الروائيين العالميين.

■ اتجه كثير من الروائيين والروائيات العرب إلى جعل الجنس اتجاها محوريا في البناء القصصي.. ما رأيكم في هذه الظاهرة ومدى تأثيرها؟

● في الحقيقة لا أرى بأي حال من الأحوال أن الجنس أمر محرم، ولا يجوز أن نتطرق إليه أو نتعرض له في رواياتنا! لأن الإسلام سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية نبه الأمة إلى هذه القضية، وأوضح بجلاء أن هذه الغريزة البشرية الكامنة أو المتفجرة في بعض الأحيان هي جزء من ذلك التكوين الإنساني.. يمكن تهذيبها وترشيدها وتقويمها.

فعندما يكتب كاتب أو كاتبة ويتعرض للون من ألوان الجنس.. هنا تظهر قدرته في معالجة الموضوع بصورة من الواقعية.. وبعد النظر السليم، وعدم تعمد إثارة الغرائز، أو الانحدار بالجنس إلى مستويات لا تقبلها الطبيعة البشرية السوية.. ولعلنا نلاحظ أن أجمل الروايات التي كتبت عن الجنس لم تتبدل، ولم تسقط في مهاوي التعبير الرديء والتصوير الخاطئ، وإنما سمت بهذا الفن، وهذه الصور الإنسانية، وعبرت عنها أصدق تعبير.. وهناك اللقطات القرآنية الجميلة مثل:

«نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم»

(البقرة ٢٢٣)

«ولقد هممت به، وهم بها.. لولا أن رأى برهان ربه» (يوسف ٢٤)

«ولقد راودته عن نفسه فاستعصم» (يوسف ٣٢)

«أنى يكون لي غلام ولم يمسن بشراً ولم أك بغياً» (مريم ٢٠)

«أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم» (البقرة ١٨٧)

«ولا تبأثروهن وأنتم عاكفون في المساجد» (البقرة ١٨٧)

«إنكم لنأتون الرجال وتقطعون السبل» (العنكبوت ٢٩)

آيات بينات من القرآن الكريم ذكر فيها الجنس في أكثر من موقع بعبارات غاية في السمو والرفق والعلو، لا تخذش الحياء، ولا تثير الغرائز.. فما أحرانا أن نتمثل بقرآنا وسنة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم.

■ كيف نحقق الاتجاه الإسلامي في الرواية دون أن نقع في مزالق المباشرة؟

● ظهرت قصص وروايات موجهة، تسابير الروح الإسلامية، والعقلية الإسلامية، ولا تتعارض مع مضامين الشريعة من قصص، مادام المضمون موجهها لتوجيهها إسلاميا يخرج بحكمة لا تتعارض ومبادئ الدين الحنيف.. فالأحداث عند أصحاب هذا اللون إنما تخدم هدفا واضحا.

وإذا أردنا أن نحقق الاتجاه الإسلامي في الرواية فهناك عدة قضايا يمكن تناولها في قالب قصصي مشوق.. وليس من الضروري ونحن نكتب قصة إسلامية أن نملأها بالشعارات الإسلامية، حتى لا تأخذ صورة الخطب والمواعظ.. إن الفن الحقيقي أنك تجذب الناس إلى القراءة، فأنت تكتب لهم، وتريد الاتصال بهم، لتبلغهم رسالة..

فلا بد إذن أن تتخذ الوسيلة المؤثرة المعبرة التي تجعلهم يقرؤون.. هناك حقيقة لا مفر من ذكرها هنا.. فإن كتب الدراسات الإسلامية والبحوث الإسلامية لا يهتم بها إلا قلة قليلة.. ولكن الذي يهتم به أكثر الناس هو القصص والروايات.. فلو كتبت بطريقة جيدة، وبهدف نبيل يمكن أن تؤدي دورا فاعلا..

ومالنا يذهب نقادنا بعيدا ويتحدثون عما

● نحن مطالبون بالتوسع في الاتصال الثقافي بين بلادنا ..

● النص الإبداعي العربي يتحدد بقدرته على تمثيل التراث والإضافة إليه .



في الآداب الغربية.. من عمق وحبكة وصراع وحيل، وتفاعل.. ومواقف.. وفي القصص القرآني كل مستلزمات الرواية أو القصة الناجحة..

إن القرآن الكريم والأحاديث والسيرة النبوية الشريفة وحياة الصحابة والتابعين، وعظماء المسلمين مصادر غنية جدا للأدب

الإسلامي، ولكن البعض ينقيون فيها، ويأخذون بعضها منها، ويقدمونه بأساليب متشابهة، فتصبح قصصهم نسخا مكررة.

لذا فإن الاتجاه إلى الأدب الإسلامي يجب أن يكون أسلوبه متجدا في التعامل مع تلك المصادر الثرية التي لا تنفذ.

ولكي نحقق الاتجاه الإسلامي في الرواية يجب ألا ننحرف عن مبادئنا القومية، وأن نبتعد عن العبث الفكري واللامعقول والوجودية، وأن تستمد الرواية مقدماتها من خلال الحقيقة لا الزيف، ومن الاستقامة لا الانحراف، ومن هنا نكون قد راعينا الحس

الإسلامي مع الاستحضار الواعي لمهمة المسلم في الحياة واستبعاد كل ما يمس جوهر العقيدة أو ينال القيم الأخلاقية كما يراها الإسلام.

■ نرجو أن تحدثوا القراء عن تجربتكم في إبداع الرواية، وهل هناك توجه إلى إبداع رواية جديدة؟

● الحقيقة أنني بدأت كتابة القصة القصيرة قبل الرواية منذ سنوات الدراسة المتوسطة، وكنت أيامها في مدارس الفلاح، وأدرس في المسجد الحرام، وكتبت بعض القصص القصيرة من واقع المجتمع، وأكرمني الله سبحانه وتعالى برجل مرب فاضل هو الأستاذ عبدالرزاق بليلة، والذي كان يتابع ويصحح ويقوم أعمالنا.. أنا وبعض الأدباء الكبار اليوم أمثال الأستاذ عبدالله جفري، والأستاذ الشاعر محمد صالح باقطة، والأستاذ محمد جميل فاضل، والأستاذ عبدالكريم نيازي،

ومجموعة من الصفوة.

ثم.. خلال تلك الفترة حاولت كتابة بعض الروايات، عندما كنت في جامعة الملك سعود.. فكتبت أول رواية وهي «اليد السفلى» تروي قصة طفل جاء من القرى في غامد وزهران، وقدم إلى مكة، وعاش أجواء مكة ثم كان طموحا، فدرس ونال درجات عليا بعد ذلك.. وعاد ليجد الأسرة التي كان يعمل عندها، وقد تدهورت أحوالها.. فدعته مروءته إلى الاتصال بهم والسؤال عنهم.. ثم تقدم يخطب ابنتهم وكان الناس في الحارة استكثروا هذا الأمر.. لأن هذا الخادم تقدم ليخطب الفتاة التي كانت سيده في يوم من الأيام.. ولكن هذه الفتاة قدرت هذا الحب وتزوجته..

بعدها كتبت قصة «مشرذ بلا خطيئة» ثم توالى العمليات فكتبت رواية «فتاة من

حائل»، و«لا تطرق الباب مرة أخرى» و«جراح البحر» و«كرستينا» ومجموعة روايات أخرى مختلفة.. والحمد لله أنها لقيت في ذلك الوقت بعض الرواج، ولكني لم أكن محترفا في كتابة الرواية.. وقد عدت في الوقت الحالي إلى كتابة بعض القصص، فكتبت مجموعة قصص جديدة منها «المطرقة والجدار» وهي تحكي عن قصة فتاة سافرت إلى أوروبا.. وقصة «دريشة عبدالحسن» تتكلم عن الأحداث الأخيرة في المنطقة، ومجموعة قصص أخرى، ولكني أمارسها بين وقت وآخر كمتنفس.. كما يتنفس الشعراء في قصائدهم وكلما أحكمت ظروف العمل طوقها حولي، أو عمدت إلى تضيق الخناق علي..

قراءة نقدية لكتاب..

جماليات النص الشعري للأطفال

أحمد فضل شبلول



هذا هو عنوان الكتاب الذي صدر في أغسطس ١٩٩٦م عن الشركة العربية للنشر والتوزيع بالقاهرة من تأليف الشاعر الناقد أحمد فضل شبلول. وقد سعدت بصدور هذا الكتاب لأسباب كثيرة اتضح لي أن الناقد كان على وعي تام بها عندما أقدم على تأليف كتابه، إذ وجدته ينص في المقدمة على زيادة الاهتمام بأدب الطفل في السنوات الأخيرة، حيث أصبح يمثل ضرورة عصرية ملحة بعد أن كان ينظر إليه على أنه أدب من الدرجة الثانية أو الثالثة. ولهذا تبارى الكتاب والشعراء من كل أنحاء العالم العربي في الكتابة للأطفال نثرا كانت أم شعرا. وإذا كانت الكتابة النثرية قد خطت خطوات كبيرة حتى صار هناك كثيرون يتخصصون فيها مثل عبدالقواب يوسف ويعقوب الشاروني وغيرهما، فإن متابعة جهود اثنين وعشرين شاعرا في كتاب أحمد فضل شبلول يدل على أن الشعراء أيضا باتوا مقتنعين بأهمية هذا اللون الشعري، حتى وإن لم يقصروا جهودهم عليه بالكامل. وإذا كان أحمد شبلول قد لاحظ غياب المتابعات النقدية لما كتبه شعراؤنا المعاصرون للأطفال، فإن كتابه حريٌّ بأن يفتح نافذة في هذا الحقل الأدبي، وأن يلفت الانتباه إلى أن هناك أدبا عن الطفل يتشكل ويزداد نموا، وأن علينا أن نتابع هذه الإبداعات بالدرس النقدي الموضوعي والمشاركة الفعالة بوصفنا قراء يمكن أن نسهم في إنتاج المعنى وتأصيله وتعميقه بما يتناسب واللحظة المعقدة التي يعيشها أطفالنا الصغار، إذ تنهال على رؤوسهم الغضة ملايين الصور المتحركة من الأقمار الصناعية المنتشرة في أرجاء المعمورة. ولا أقل من أن نفتح لهؤلاء الأطفال نافذة يطلون منها على ألوان من الثقافة الجادة التي تكون لهم بمثابة درع يحتمون بها من تلك الهجمات الفضائية المتخصصة، في فنون الرقص والكرة والأفلام، وهي فنون تجثم بكلها على الكبار والصغار معا.





بقلم الدكتور

حامد أبو أحمد*

٩ - يعد التوظيف الشعري للحديث النبوي الشريف خطوة متقدمة وهادفة على طريق النص الشعري المكتوب للأطفال.

١٠ - على الشاعر أن يتخلص من بعض الصور الشعرية المركبة التي يصعب على الصغير فهمها. كما أن على الشعراء أن يتوخوا الأساليب السهلة والمفردات البسيطة حتى تكون أشعارهم على مستوى فهم الطفل. ولا شك أن هذا المعيار قد لقي اهتماما كبيرا من جانب المؤلف على نحو ما سوف نرى فيما بعد.

١١ - إن الشعر التعليمي الموجه للأطفال يجب ألا يخرج عن مقوماته الأساسية بوصفه شعرا، وإلا تحول إلى نظم بارد لا روح فيه ولا حياة.

١٢ - ولا ينسى المؤلف أن يؤكد على دور موسيقى الشعر في جذب الأطفال إلى القصيدة، واستمالتهم إليها بالإيقاعات السهلة المنظمة، واللغة الموائمة الموحية، فضلا عن وحدة الموضوع، التي تمثل قاسما مشتركا في قصائد الكبار والصغار على حد سواء. ثم إن الشاعر مطالب بتقديم رؤية متفائلة للبلاد والناس، وللأرض والوطن؛ حتى نزرع روح الثقة والتفاؤل والصداقة والمحبة وغيرها من القيم السامية في نفوس الأطفال البريئة.

هذه، باختصار هي القواعد أو المعايير التي انطلق منها المؤلف في نقده للقصائد والدواوين. ومن حقه علينا أن نقول إنه طبقها بشكل جيد ومطرد في

«الجمالية» ترقى إلى مرتبة القاعدة العامة، أو ترقى إلى ما يمكن تسميته بعمود النص الشعري للأطفال إن صح التعبير (انظر صفحة ٢٢١).

يمكننا إذن أن نضيف إلى المعيارين السابقين (الرؤية الإسلامية والوظيفية الاجتماعية للنص) المعايير أو القواعد التالية التي اعتمدها المؤلف، والتي نستخلصها من الجماليات» فيما يلي:

٣ - إن النصوص المكتوبة للأطفال ينبغي أن تمر بالحركة والحيوية والنشاط، وكأنها أطفال تجري وتلعب وتقفز وتروح وتجيء أمانا.

٤ - تمثل الطبيعة عنصرا مهما في شعر الأطفال، ويحرص جميع الشعراء الذين يكتبون للأطفال على أن ينهلوا من هذا العالم الثر.

٥ - إن الشعر المكتوب للأطفال لا بد أن يعكس الحس الطفولي، والمرح، والبهجة، والحركة الوثابة، والبسمة العذبة، والضحكة الطفولية الصافية.

٦ - قصيدة الطفل يجب أن تكون موجهة إليه، ومن ثم فإن ما يكتبه بعضهم لنفسه قاصدا بذلك الطفل لا يدخل ضمن أدب الأطفال.

٧ - يجب أن تكون القصيدة مواكبة لروح العصر الذي نعيش فيه ولمفرداته التي تسلمت إلى حياتنا. والشاعر المعاصر الناجح - في رأي المؤلف - هو الذي يربط هذه المفردات بالمفردات الأخرى الإيمانية بطريقة منسجمة وغير مفتعلة.

٨ - ينبغي على الشعر المكتوب للأطفال أن يقترب من الحقائق العلمية، والمنجزات والاختراعات الإلكترونية التي يراها الأطفال يوميا ويتعاملون معها.

ولا أدري هل كان المؤلف على وعي بهذه الأخطار التي يتعرض لها الطفل عندما ركز في كتابه على الحس الإسلامي؟ أم أنه انطلق أساسا من رؤية إسلامية جوهريّة يرى أنها ينبغي أن تكون الأساس في التناول النقدي بصرف النظر عن أية أخطار؟ ولا شك أنني أميل إلى الأخذ بالنقطة الثانية، حيث نصّ عليها المؤلف بصراحة ووضوح في مقدمته القصيرة عندما قال: «إن هذا الرصيد من النصوص الشعرية المكتوبة لأحبائنا الصغار، والتي ظهرت في العقود الأخيرة يغري المهتم والباحث والدارس بالوقوف أمامه والتأمل فيه. ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي لا تزعم لنفسها الإحاطة والشمول بكل ما كتب خلال هذه العقود، ولكنها تزعم أنها تنطلق من الرؤية الإسلامية الصافية التي تنمي في صغارنا الإحساس والتذوق الجمالي للكون وللحياة وللإنسان، وتبث فيهم قيم الحق والخير والجمال والحرية» (ص ٣). وبذلك يكون الناقد قد حدد منذ البداية معايير النقد القائمة على رؤية إسلامية صافية لها وظيفة اجتماعية تتبع الفعلان «تنمي» و«تبث» في الفقرة السالفة الذكر. ولا شك أن الخاتمة التي وضعها المؤلف في نهاية الكتاب (من ص ٢٣١ إلى ص ٢٤٢) عن الجماليات تمثل قواعد معيارية استند إليها المؤلف في نقده لهذا النص الشعري أو ذاك. وعلى الرغم من أنه نظر إليها على أنها نتائج وظواهر وملاحظات أو بتعبير آخر خاتمة ونتائج، إلا أنه رأى أن بعضها يرقى إلى مستوى الجماليات التي يجب توافرها في كل نص شعري يكتب للطفل. ولم يفته أن ينص على أن

● انطلق الناقد من رؤية إسلامية

تنمي في الأطفال التذوق الجمالي

في شعر الأطفال ينهل منه الشعراء

دراساته التي شملت اثنين وعشرين شاعرا عربيا. ولن نتوقف عند تطبيقاتها جميعا، وإنما سوف تختار بعضها فقط: لنرى كيف كان المؤلف حريصا على أن يرى هذه القواعد ملتزمة بصورة واضحة وصريحة في دواوين الشعراء. ولنبدأ بالحس الإسلامي: فكثيرا ما ينبه الناقد إلى وجود الحس الإسلامي في قصائد هذا الشاعر أو ذاك. يقول مثلاً عن الشاعر «بهاء الدين عبدالموجود» ومجموعته «مطلع الفجر»: «ومن خلال هذه المنظومة وبقيّة المنظومات نلاحظ أن الحس الإسلامي المباشر يتغلغل في كل قصائد المجموعة. وبطبيعة الحال تكون منظومة «قوموا صلوا» ومنظومة «دعاء» من أقوى المنظومات التي تغلغل إليها هذا الحس» (ص ٤٧). ويقول عن توظيف الأحاديث النبوية في نقده لديوان «أغاريد الأطفال» للشاعرين محيي الدين سليمة وموفق سليمة: «على أن أهم ما في هذا الديوان هو المجموعة الشعرية الأولى «قبس من رسول الله» وفيها يوظف الشاعران بعض أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم. ففي كل قصيدة نرى توظيفاً شعرياً لحديث من أحاديث الرسول يتناسب مع سلوكيات الأطفال. وقد يرقى هذا التوظيف أحيانا إلى شرح الحديث النبوي بالشعر المناسب لمدارك الأطفال وسنهم (ص ٧١) (١). وعندما يفتقد الناقد الحس الإسلامي كثيرا ما ينبه إلى ذلك، كما نجد في صفحات ٢٨، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١.

أما عن الطبيعة وأهميتها في الشعر المكتوب للأطفال فإن الشاعر يلح كثيرا على هذه المسألة. يقول مثلاً في صفحة ٨٣: «في هذا الكتاب تحدثنا عن دواوين كاملة اتخذت من الطبيعة خلفية لها أو مسرحاً أو عالماً محبباً للطفل. وقد تمثل عالم الطبيعة في هذه المجموعة في الديك الذي يؤذن للصباح، والليل الذي

يسرع الخطى ويبدأ الرحيل، والشمس التي تالأت بوجهها الصقيل، والبلبل الغريد بلحنه الجميل.. الخ».

وفيما يتعلق بموسيقى الشعر نجد الناقد يختم كل دراسة بكلمة عن البحور الشعرية المستخدمة، وهو يفضل دائماً البحور المجزوءة، ويبحث دائماً عن الخبب الذي عادة ما تعلو نسبته بين البحور الأخرى، يليه في معظم الأحيان مجزوء الرجز. وولع الأخ أحمد شبلول بالبحور الشعرية عادة قديمة نعرفها عنه، وقد أفادته كثيراً في هذه الدراسات ومنحتها أبعاداً عميقة، إضافة إلى ما اشتملت عليه من بُعد إحصائي يفيد جيداً في هذا اللون من الدرس الأدبي. وكثيراً ما يربط الناقد بين البحور الشعرية وطبيعتها الجمالية والدالية والتداولية. يقول مثلاً في ختام دراسته عن ديوان «مذكرات فيل مغرور» للشاعر حسين علي محمد: «اعتمدت القصيدتان على تفعيلات بحر الخبيب (وهو صورة من صور بحر المتدارك)، وكذا كل قصائد المجموعة الشعرية التي نحن بصددّها. وهذه التفعيلات تتدفق بين يدي الشاعر الجيد الذي يستطيع أن يضبطها ويسيطر على إيقاعاتها. ذلك أن تفعيلات الخبيب - على وجه التحديد - إذا لم يتمكن الشاعر من السيطرة عليها فإنها تسحب به إلى عالم الثثرة اللفظية، وإلى دوامة التعبير النثري.. الخ» (ص ٦٩).

نأتي إلى مسألة مناسبة القصيدة لهذه السن أو تلك وعدم المناسبة فنجد أن الناقد - كما أسلفنا - قد أولى هذا الجانب أهمية كبيرة، حتى ليتمكن أن يقول إن معظم الدراسات تشتمل على فقرات من هذا القبيل (٢). ولنأخذ على سبيل المثال قصيدة من ديوان علال الفاسي صفحة ١٠١ أوردها الناقد كاملة (١٤ بيتاً)، ونكتفي منها هنا بالآيات الأربعة الأولى التي تقول:

إذا جاء إبان الربيع وأينعت
غصون وهبت رائحات الأزهار
فللقرويين العظيمة محفل
له موكب بين الرياض
الزواهر (٣)

تقوم له بين المحافل دولة
لها ملك من بينهم غير قاهر
يتم به في شاطئ النهر نزهة
مضاربها تزهر بوادي
الجزاهر

وقد رأى أحمد فضل شبلول أن هذه القصيدة رائعة لغة ووصفا وحماسة، فضلاً عن أنها تحمل قيماً علياً وتتغنى بالعلم وأمله، ولكنها لا تصلح لأن تكون بين دفعتي مجموعة شعرية للأطفال بكل مراحلهم المختلفة. أي أن هذه القصيدة - في رأي الناقد - لا تصلح لأي مرحلة من مراحل الطفولة التي يصفها عادة بالأولى أو المتأخرة.. الخ ونحن نوافق أحمد شبلول على أن هذه القصيدة أرفع من مستوى الطفل أياً كانت مرحلته. ولكن المشكلة أنه في أعمال أخرى يطبق هذا الرأي على قصائد شديدة السهولة والوضوح، مثل قصيدة «الدين للديان» من ديوان «الفارس المغرور» لأحمد الحوتي (ص ٢٦). تقول بعض أبيات القصيدة:

أحبائي وأصحابي
سمعت اليوم من جدي
كلاماً

كان يقرؤه من القرآن
وقالت جدتي يوماً لجارتنا:
بأن الدين للديان
وقالت جدتي أيضاً:
بأن الناس في وطني
لهم تاريخ
وأن المجد للخالق
وللاوطان

وقد أخذ أحمد شبلول على هذه القصيدة أنها تقترب من موضوعات دينية قد لا تناسب هذه السن التي يكتب لها الشاعر. ولا شك أن هناك قصائد أخرى مثلها لأن الشاعر أخذها مثلاً على هذا المأخذ الذي ارتآه في

القصاصد الأخرى التي كتبها أطفال بولتون وأحسست أمامها أنني إزاء قصائد لشعراء كبار. ولماذا نذهب بعيدا وهناك شعراء عرب مشهورون كتبوا في طفولتهم قصائد لا تكاد تقل عن إبداعاتهم في مراحل النضوج، ويحضرني الآن من بينهم اسم المرحوم الدكتور إبراهيم ناجي.

ولعل من أعجب وأغرب ما صدر من شعر للأطفال هو كتاب الشاعر الإسباني خوان رامون خمينيث تحت عنوان «حماري وأنا»، وقد ظهر أول ما ظهر عام ١٩١٤م في طبعة مدرسية ضمن سلسلة مكتبة الشباب» وقد صدر الشاعر هذه الطبعة بكلمة تحت عنوان «بيان للكبار الذين يقرؤون هذا الكتاب للأطفال» جاء فيها: «هذا الكتاب الموجز الذي يقترن فيه الفرح بالألم اقتران توأمين كأنهما أذنا بلاتيرو (اسم الحمار) كتب لـ.. لا أدري لمن.. لمن نكتب نحن معشر الشعراء الغنائيين.. والآن وهو موجه إلى الأطفال لن أحذف منه ولن أزيد عليه فاصلة. ما أجمل هذا!!» (٤) وهذا التقديم كما هو واضح يضعنا أمام

ساعة ذهبية بـ «سير» مهترئ زوج من الأخفاف يتعذر لبسهما خيط من اللؤلؤ اصفر من مرور الزمن عليه سوف لن يرتديه أحد لسنين قادمة أخرى كلما فتحت الدولاب تتدحرج إحدى الذكريات نحوي وتسقط ميتة فوق الأرض ألتقطها، وأنظر للزمن الماضي ثم أعيدها حية هي والأفكار التي صحبتها أحيانا أتساءل إن كانت تستطيع أن ترانا الآن، وتعرف أن بضاعتها اللفظية الباقية حقيقة في الطريق وأن الفراغ الذي تشغله يمكن أن يكون لأداة أو آنية ولكنها يمكن أن تستريح، لأن الزاوية التي تشغلها سوف تظل دائما ذكريات

فهذه قصيدة لو لم تعرف أنها لطفل في الصف الخامس لتصور أنها لشاعر كبير. وقد علق بولتون عليها بقوله: «إن قصيدة الشاعر جورج ماكث وراء هذه القصيدة التي يتوافر فيها نوع من الخلود». والقصيدة أقوى بكثير من قصائد عربية اعتبرها الشاعر غير مناسبة لسن الطفولة. وقل مثل ذلك في

ديوان أحمد الحوتي. ومن المفارقة أن الدراسة التالية مباشرة لتلك، وهي عن ديوان «ضحكة القمر» لأحمد زرزور بها قصيدة تنطوي على ضرب من التجريد وفيها شاعرية محلقة لو أخذنا بالمعيار السالف الذكر لوجدناها تلو كثيرا على أفهام الطفل في أي مرحلة، ومع ذلك لم يعلق عليها ناقدنا بشيء، بل إنه مثل بها للقصائد الجيدة التي تقترب من الطبيعة وعنوان القصيدة «لماذا لا يتوقف الجدول»، ولنقتطع منها الأبيات التالية:

دعوت جدولي الصغير أن يقف في الظل لحظة ليستريح!
فقال وهو يسرع المسير:
رب زهرة صغيرة تجف
هناك في السفوح
... الخ (ص ٢٩)

والحق أن استخدام الناقد لمعيار المناسبة لسن الطفل يحتاج إلى مراجعة قوية، في إطار رؤية شاملة للعمل برمته. وإذا كنا قد رأينا كثيرا من القصائد أو المجموعات التي اعتبرت من قبل الناقد غير مناسبة لسن معينة أو للطفولة بشكل عام، ورأينا في الأمثلة السابقة التذبذب الواضح في المعيار، وكأنما يستند الناقد إلى رؤية ذاتية خالصة، فإننا سوف نتوقف الآن عند دراسة مهمة وردت في ملحق «المراجعات» تحت عنوان: أريك جي بولتون وكتابة الشعر في المدارس. وهذه تجربة مهمة نفذها الناقد الإنجليزي المذكور وضمنها كتابه المعنون «كتابة الشعر في المدارس» والذي ترجمه إلى العربية ياسين طه حافظ. وقد طلب بولتون من تلاميذه أن يكتبوا شعرا حول موضوع معين يطرحة عليهم. والحق أن بعض القصائد التي كتبها وأوردها أحمد شبلول قوية جدا. ولناخذ على سبيل المثال قصيدة بعنوان «ذكرى» كتبها طفل في الصف الخامس، تقول:



● شعر الأطفال يعكس الحس الطفولي

والبهجة والحركة الوثابة

مشكلة هي: هل كتبت مرثية «حماري وأنا» من أجل الأطفال (أولهم)؟ أم أنها قطع من الشعر المنشور الغنائي الذي رأى الشاعر أنه يصلح للأطفال كما يصلح للكبار؟ أغلب الظن عندي أن فحوى هذا السؤال الثاني هي الأساس الذي استند إليه خوان رامون عندما وافق عام ١٩١٤م على تقديم طبعة مخصصة من كتابه للأطفال. ويعزز هذا الرأي المقدمة التي كتبها طبعة دار نشر تاوروس وظهرت لأول مرة عام ١٩٥٩م أي بعد وفاة الشاعر بعام واحد تقريباً. قال في هذه المقدمة: «يعتقد عادة أنني كتبت «بلاتيرو وأنا» من أجل الأطفال، وأنه كتاب للأطفال. كلا. ففي سنة ١٩١٣م طلب مني المشرفون على سلسلة «القراءة»، وكان لديهم علم أنني مع هذا الكتاب، أن أوافيهم بمجموعة من الفصول تصلح لمكتبة الشباب. وعندئذ قلبت الفكرة على وجوهها وكتبت المقدمة التالية (يقصد بها البيان السالف الذكر) لكن الحقيقة هي أنني لم أكتب ولن أكتب أبداً للأطفال، لأنني اعتقد أن الطفل يمكنه أن يقرأ ما يقرؤه الرجل مع بعض الاستثناءات التي تحدث للجميع. أيضاً ثمة استثناءات عند الرجال وعند النساء».

ولا شك أنه من الأنسب أن نسوق مثلاً من هذه الأشعار التي يرى خوان رامون أنها تصلح للصغار والكبار معاً. يقول في الفصل رقم ٩ الذي يحمل عنوان «التين»: «كان الليل نائماً تحت أشجار التين المعمرة مئات السنين بجذوعها الرمادية التي تتصل بأطرافها القوية في الظل البارد كأنها تحت رداء، وكانت الأوراق العريضة التي وضعها آدم وحواء تخرن نسيجا رقيقاً من لؤلؤ قطر الندى الذي تميل معه خضرتها الناضرة إلى شحوب، ومن هنالك جعل يتراءى بين الياقوتة السفلى الفجر وهو يصبغ بلونه الوردي حجب المشرق التي

الناس في الشارع يقوم معظمها على المجاز فماذا يستطيع الشاعر أن يفعل؟! وإذا كان الطفل يمكن أن يجد غموضاً في البيتين المذكورين فهل من السهل أن نعلمه سورة «الفاتحة» أو سورة «الفيل» أو سورة «القارعة» مثلاً؟!!

نأتي إلى المثال الثاني المقتطع من قصيدة «القمر». يقول الشاعر علي الشرقاوي:

قالوا
ما أكثر ما قالوا
قمر الدنيا سوف يموت
ببطن الحوت

ويلقى أحمد شبلول على الأبيات قائلاً: «هنا نعود مرة أخرى إلى حالة الغموض، وكيفية تصور الطفل للقمر الذي يموت ببطن الحوت، وأعتقد أنه ليس من السهولة بمكان أن يتخيل طفل هذه المرحلة كيف يموت هذا القمر في داخل بطن الحوت، إنه يحتاج إلى ربط أشياء كثيرة ببعضها البعض كي يتوصل إلى فهم أو إدراك هذه الصورة. عليه أن يتخيل بطن الحوت وظلمته ودخول القمر أو ضياء القمر إلى هذا البطن وما إلى ذلك. إن هذه العلاقات من الصعب على الطفل إقامتها. لذا فإن أسهل شيء يفعله هو أن يصرف نظره أو تفكيره عن هذا المعنى، وهو الشيء الذي سيكون ضد هذا العمل الشعري ومثيله».

●●●

المشكلة، إذن، كما هو واضح في «القمر» هذا المجاز الجميل، كيف يدخل بطن الحوت، والطفل لا يستطيع أن يفهم إلا شيئاً حقيقياً كالغذاء مثلاً أو الحيوان الذي يلتهمه الحوت فيدخل بطنه! إنها أيضاً مشكلة الحقيقة والمجاز. وأنا لا أريد أن أسترسل في هذه النقطة، وإنما أطلب فقط من الأخ أحمد شبلول أن يراجع أحكامه بشأن معيار «المناسبة لسن الطفل» على ضوء مفاهيم كثيرة تدخل فعلاً ضمن جمالية الكتابة للأطفال. وعندئذ سوف يقدم بحثاً في جمالية النص الشعري للأطفال بدلاً من قصر الجماليات على الخاتمة

لا لون لها» (٥).
فماذا يقول الأخ أحمد شبلول في هذه الأبيات 'إننا إذا طبقنا عليها معيار المناسبة الذي طبقه على امتداد كتابه فسوف نجد أنها من المستحيل أن تناسب أي سن من سني الطفولة. وقد سبق أن ذكرنا مثلاً من الشعر الذي رآه الناقد أعلى من مستوى الأطفال، والآن نضيف مثالين آخرين من الدراسة الخاصة بالشاعر علي الشرقاوي (ص ١١١ وما بعدها). يقول الشاعر في قصيدة «أطفال»:

نبني مُدُنًا فوق الصخر
نزرع شجراً فوق البحر

ويلقى الناقد على هذين البيتين قائلاً: «ولعل الطفل الذي سيقراً هذا المقطع سيتساءل: كيف يزرع الشجر فوق البحر؟ وخاصة بعد أن تصور أو تخيل بناء المدن فوق الصخر. لا شك أن زراعة الشجر فوق البحر صورة شعرية جميلة، ولكننا نتعامل في مجال النص الشعري المكتوب للأطفال، أو في مجال أدب الأطفال الذي له شروطه وجمالياته ومقاييسه الخاصة التي تحكم توجه الشاعر الفني. وأعتقد أن هذه الصورة الشعرية (زراعة الشجر فوق البحر) ليس من السهل على الطفل أن يدركها، ويدرك ما ترمي أو تهدف إليه. فالزراعة عند الطفل مرتبطة بالحقل والنهر، أما الزراعة فوق البحر فلن تمثل إلا غموضاً في المعنى وعدم الفهم الذي ربما يسبب له خللاً في استقبال النص كله».

وقد نقلنا الفقرة السابقة كاملة لنستخلص ما بها من مبدأ خطير وهو أن الكتابة للطفل يجب أن تأتي على الحقيقة فقط، لأننا إذا استخدمنا المجاز فسوف يؤدي ذلك إلى الغموض في المعنى، وإلى عدم الفهم بالنسبة للطفل.. وإذا كانت اللغة العادية التي يستخدمها



والنتائج (حوالي عشر صفحات) في آخر الكتاب. وكما كان جميلا الفصل الخاص بالمراجعات ووضع بوصفه ملحقا. فقد قدم الناقد في هذا الملحق عرضا لأربعة كتب مهمة في أدب الطفولة لكل من أحمد زلط، وأحمد سويلم، وأريك جي بولتون، وعبدالفتاح أبو معال. وأنا أعتقد أن الناقد يستطيع أن يواصل البحث فيما كتبه الآخرون، ويقدم عملا مهما عن أدب الطفولة لا يقتصر على قراءة مجموعة من الدواوين كل على حدة، بل يقدم رؤية متعمقة ونافذة لمشكلات وخصائص وفروع هذا الأدب الذي يلقي حاليا اهتماما كبيرا من المثقفين.

ومما يحمد لأحمد فضل شبلول في هذا الكتاب أنه لم يتردد أبدا في إبداء رأيه سواء بالإيجاب أو بالسلب، وتحس من ثم وأنت تقرأ الكتاب أنك أمام ناقد واثق من نفسه، ينقد الأخطاء وينبه إليها، ويطالب الشاعر بالتزام نهج آخر قد يحدده له، وإن كان كثير من المآخذ له صلة بمسألة المناسبة المذكورة، أو بمعيار الحس الإسلامي، إضافة إلى الأخطاء في الوزن أو في اللغة. ومن أمثلة مآخذ الموفقة تعليقه على الأبيات التالية التي تقول:

قد جئت يا صغار
فغادروا السرير

...

قد جئت في الصباح
فاستيقظوا معي

ويلحق أحمد شبلول: «وفي هذه القصيدة وضع الشاعر يده على نسيج شعري جيد، لكنه لم ينجح في نسج الخطوط النهائية، ونكاد نحس أن هناك أشياء لم يقلها الشاعر. وكان من الممكن أن تتحول هذه القصيدة إلى حوار بين الشمس والأطفال» (ص ٣٤).

ولكن الوقوف عند المآخذ يأتي أحيانا وفيه كثير من الشطط. ومن أمثلة ذلك هذا البيت:

قلمي أخضر حسن المنظر
الذي علق عليه الناقد بقوله:
«ونتساءل: لماذا اختار الشاعر اللون

الأخضر على وجه التحديد؟ ولماذا لا يكون القلم أحمر مثلاً أو أصفر أو بنياً أو أسود.. الخ؟ إن تحديد اللون هنا يضر بالعمل الفني أكثر مما يفيد. ذلك أن الطفل الذي يقرأ أو يسمع مثل هذه المنظومة إذا لم يكن لديه قلم أخضر فإنه سيحزن كثيرا، ولعله يطلب من أبويه شراء قلم أخضر كالذي يتحدث عنه الشاعر.. الخ» (ص ٤٩).

ويبقى أن هذا الكتاب سوف يلعب دورا مهما في التنبيه إلى أهمية أدب الأطفال، وإلقاء الضوء على جهود اثنين وعشرين شاعرا قدموا مئات النصوص الشعرية في هذا المضمار، ولعل هذا يؤدي إلى زيادة الاهتمام بهذا النوع من الأدب، وقد يهرع عدد من النقاد إليه عندما يعثرون فيه على ضالتهم المنشودة. وبذلك يتحقق الهدف الذي رمى إليه أحمد فضل شبلول عندما قام بتأليف هذا الكتاب.

الهوامش

* د. حامد أبو أحمد: أديب وناقد مصري، يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً في كلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود في الرياض مغاراً من جامعة الأزهر.

من مؤلفاته: «دراسات نقدية في الأدب العربي والأسباني»، و«نظرية المتلقي».

(١) عن الحس الإسلامي وتوظيف الأحاديث النبوية يمكن للقارئ مراجعة الصفحات التالية: ١٨٦، ١٥٠، ١٣٠، ٩٧، ٧٦، ٥٨.

(٢) انظر مثلاً صفحات: ٩٨، ١٠١، ١٠٥، ١١٢، ١٣٢، ١٦١، ١٦٢، ١٧٣، ١٨١، ١٨٧، ١٩٠.

(٣) يريد: جامعة القرويين العظيمة.
(٤) هذه هي ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع، وقد نشرتها دار المعارف بمصر عام ١٩٥٩م تحت عنوان «أنا وحماري مرثية أندلسية، ص ١٠.

(٥) المرجع السابق، ص ١٩.